محمود درويش

موت اخر .. واحبك

١

أجدد يوما مضى ، لاحبك يوما .. وامضي
وما كان حبا
لان ذراعيّ اقصر من جبل لا أراه .
واكمل هذا العناق البدائي ، أصعد هذا الاله
الصغير ..
وما كان يوما
لان فَراش الحقول البعيدة ساعة حائط
واكمل هذا الرحيل البدائي أصعد هذا الاله الصغير
وما كنت سيدة الارض يومـا
لان الحروب تلامس خصرك سرب حمام
وتنتشرين على موته افقا من سلام
يسد طريقي الى شفتيك ، فأصعد هذا الاله الصغير
وما كنت ألعب في الرمل لهوا
لان الرذاذ يكسرني حين تعلن عيناك
أن الدروب الى شهداء المدينة مقفرة من يديك
فأصعد هذا الاله الصغير ..
وما كان حبا
وما كان يوما
وما كنت
ما كنتُ
اني أجدد يوما مضى
لاحبك يوما
وامضي ..

٢

سألتك ان ترتديني خريفا ونهرا
سألتكَ ان تعبري النهر وحدي
وتنتشري في الحقول معا .
سألتك ألا اكون والا تكوني
سألتك ان ترتديني
خريفـا
لاذبل فيك ، ونمو معا .
سألتك الا اكون والا تكوني
سألتك أن ترتديني
نهـرا
لافقد ذاكرتي في الخريف
ونمشي معا .
وفي كل شيء نكون
يوحدنا ما يشتتنا
ليس هذا هو الحب
في كل شيء نكون
يجددنا ما يفتتنا
ليس هذا هو الحب ـ
هذا أنا ..
أجيئك منك ، فكيف أحبك ؟
كيف تكونين دهشة عمري ؟
وأعرف أن النساء تخون جميع المحبين الا المرايا
وأعرف :
ان التراب يخون جميع المحبين الا البقايا
أجيئك منك انتظارا
وأغرق فيك انتحارا
أجيئك منك انفجارا
وأسقط فيك شظايا ..
وكيف اقول احبك ؟
كيف تحاول خمس حواسّ مقابلة المعجزه
وعيناك معجزتان
تكونين نائمة حين يخطفني الموج
عند نهاية صدرك يبتديء البحر
ينقسم الكون هذا المساء الى اثنين :
أنتِ ومركبة الارض .

من اين أجمع صوت الجهات لاصرخ :
اني أحبك
كي ترتديني خريفا ونهرا ..

٣

تكونين حريتي بعد موت جديد
أحب
أجدد موتي
أودع هذا الزمان واصعد
عيناك نافذتان على حلم لا يجيء
وفي كل حلم أرمم حلما واحلم
قالت مريًا : سأهديك غرفة نومي
فقالت : سأهديك زنزانتي يا مريًا
وكان الفتى رغبة تتنقل بين المحبين والسجناء
ـ لماذا أحبكَ ؟
□ من أجل طفل يؤجل هجرتنا يا مريا
ـ سأهديك خاتم عرسي
□ سأهديك قيدي وأمسي
ـ لماذا تحارب ؟
□ من أجل يوم بلا أنبياء .
تكونين جندية . تغلقين طريقي . تقولين : ما اسمك؟
أعلن أني أمشط موج البحار بأغنيتي ودمي
كي تكوني مريًا .
ـ الى أين تذهب ؟
□ أذهب في أول السطر . لا شيء يكتمل الان
ـ هل يلعب الشهداء بأضلاعهم كي تعود مريًا
□ تعود ، وهم لا يعودون
ـ هل كنتَ فيهم ؟
□ وعدت لانيَ نصف شهيد
لاني رأيت مريًا .
وكان الفتى رغبة تتنقل بين الولادة والاسر ،
بين المفنين والسجناء
ـ سأهديك غرفة نومي
□ سأهديك زنزانتي يا مريًا .

٤

غريبـــان
ان القبائل تحت ثيابي تهاجر
والطفل يملأ ثنية ركبتك
الان أعلن أن ثيابك ليست كفن
غريبـــان
ان الجبال الجبال الجبال ....
غريبـــان
ما بين يومين يولد يوم جديد لنا
وماذا نسميه
قلنا : وطن .
غريبـــان
ان الرمال الرمال الرمال ....
غريبـــان
والارض تعلن زينتها
أنت زينتها
والسماء تهاجر تحت يدين
غريبـــان
ان الشمال الشمال الشمال ....
غريبـــان
شعرك سقفي ، وكفاك صوتان
أقبل صوتا
واسمع صوتا
وحبك سيفي
وعيناك نهران
والان أشهد ان حضورك موت
وأن غيابك موتان
والان أمشي على خنجر واغني
فقد عرف الموت اني
أحبك ، اني
أجدد يوما مضى
لاحبك يوما
وامضي ..

٥

سمعت دمي ، فاستمعت اليك
ولم تصلي بعد
كان البنفسج لون الرحيل
وكنت أميل مع الشمس ـ
يا أيها الممكن المستحيل
وكانت ظلال النخيل تغطي خطانا التى تتكون
منذ الصباح وأمس .
وكنا نميل مع الشمس ،
كنت القتيل الذي لا يعود
نسيت الجنازة خلف حدود يديك
سمعت دمي ، فاستمعت اليك ..

الى أين أذهب ؟
ليست مفاتيح بيتي معي
ليس بيتي أمامي
وليس الوراء ورائي
وليس الامام أمامي
الى أين أذهب ؟
ان دمائي تطاردني ، والحروب تحاربني ، والجهات
تفتشني عن جهاتي
فأذهب في جهة لا تكون
كأن يديك على جبهتي لحظتان
أدور أدور
ولا تذهبان
أسير أسير
ولا تأتيان
كأن يديك أبد
آه ، من زمن في جسد !

يعرف الموت أني أحبك
يعرف وقتي
فيحمل صوتي
ويأتيك مثل سعاة البريد
ومثل جباة الضرائب
يفتح نافذة لا تطل على شجر
قد ذهبت ولم أعترف .
يعرف الموت أني أحبك ..
يستجوب القبلة النصف ..
تستقبلين اعترافي ..
وتبكين زنبقة ذبلت في الرسالة
ثم تنامين وحدك وحدك وحدك
يشهق موت بعيد
ويبقى بعيد

الى أين أذهب ؟
ان الجداول باقية في عروقي
وان السنابل تنضج تحت ثيابي
وان المنازل مهجورة في تجاعيد كفي
وان السلاسل تلتف حول دمي
وليس الامام أمامي
وليس الوراء ورائي
كأن يديك المكان الوحيد
كأن يديك بلد
آه من وطن في جسد !

٦

وصلت الى الوقت مبتعدا
لم يكن بلدا
كي أقول وصلتُ
وما كان ــ حين وصلت ــ سدى
كي أقول تعبتُ
وما كان وقتا لامضي اليه ..
وصلت الى الوقت مبتعدا
لم أجد أحدا
غير صورتها في اطار من الماء
مثل جبيني الذي ضاع بيني
وبين رؤاي سدى !

سمعت دمي
فاستمعت اليك
مشيت
لامشي اليك
وكانت عصافير ملء الهواء
تسير ورائي
وتأكلني ــ كنت سنبلة ــ
كنت أحمل ضلعا وأسأل أين بقيته
آخر الشهداء
يحاول ثانية
كيف أحمل نهرا بقبضة كفي
وأحمل سيفي
ولا يسقطان
أنا آخر الشهداء
أسجل أنك قديسة في الزمان ، وضائعة
في المكان
أريد بقية ضلعي
أريد بقية ضلعي
أريد بقية ضلعي
أحب ..
أحدد موتي
أجدد يوما مضى
لاحبك يوما
وأمضي

بيروت

محمود درويش